أوراق أفغانستان

تاريخ سري للحرب

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة ترجمان" بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس "سلسلة ترجمان" وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

أوراق أفغانستان

تاريخ سري للحرب

كريغ ويتلوك

ترجمة
أحمد طارق البوهي

مراجعة
هيثم فرحت

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ويتلوك، كريغ
أوراق أفغانستان: تاريخ سري للحرب/ كريغ ويتلوك؛ ترجمة أحمد طارق البوهي؛ مراجعة هيثم فرحت.
448 صفحة: إيضاحيات؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)
يشتمل على ببليوغرافية (صفحات 431-433) وفهرس عام.
ISBN 978-614-445-708-5
1. الحرب الأفغانية، 2001. 2. أفغانستان - تاريخ - الاحتلال الأمريكي، 2001-2021.
أ. البوهي، أحمد طارق (مترجم). ب. فرحت، هيثم (مراجع). ج. العنوان. د. السلسلة.
958.1047

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من الناشر لكتاب
The Afghanistan Papers: A Secret History of the War
by Craig Whitlock
Copyright © 2001 by WP Company LLC
عن دار النشر
Simon & Schuster, Inc.
All Rights Reserved.
Published by arrangement with the original publisher, Simon & Schuster, Inc.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر
المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، تشرين الأول/ أكتوبر 2025

إلى جيني وكايل،

مع الحب والاحترام

المحتويات

شكر وتقدير 9

مقدمة المترجم 17

تصدير 25

القسم الأول
مذاق نصر زائف (2001–2002)

الفصل الأول: مهمة اختلط فيها الحابل بالنابل 39

الفصل الثاني: "من هم الأشرار؟" 57

الفصل الثالث: مشروع بناء الأمة 73

القسم الثاني
الإلهاء الكبير (2003–2005)

الفصل الرابع: تهميش أفغانستان 91

الفصل الخامس: بعث جيش من تحت الرماد 107

الفصل السادس: الإسلام للمبتدئين 123

الفصل السابع: اللعب على الحبلين 145

القسم الثالث
عودة طالبان (2006–2008)

الفصل الثامن: أكاذيب ومراوغة 161

الفصل التاسع: استراتيجيا مهلهَلة 177
الفصل العاشر: أمراء الحرب 193
الفصل الحادي عشر: حرب على الأفيون 209

القسم الرابع
شطط أوباما (2009–2010)

الفصل الثاني عشر: مضاعفة الرهان 227
الفصل الثالث عشر: "هوة سحيقة تلتهم المال بلا نهاية" 243
الفصل الرابع عشر: صديق استحال عدوًّا 269
الفصل الخامس عشر: استهلكه الفساد 287

القسم الخامس
الأشياء تتهاوى (2011–2016)

الفصل السادس عشر: حرب ضد الحقيقة 307
الفصل السابع عشر: عدو من الداخل 323
الفصل الثامن عشر: الوهم الكبير 341

القسم السادس
الجمود (2017–2021)

الفصل التاسع عشر: ثم جاء دور ترامب 355
الفصل العشرون: دولة المخدِّرات 369
الفصل الحادي والعشرون: التفاوض مع طالبان 383
خاتمة 407
كلمة عن المصادر 415
ثبت المصطلحات 419
ثبت الأعلام 423
المراجع 431
فهرس عام 435

شكر وتقدير

ثمة عبارة تزين حائط غرفة الأخبار في صحيفة **واشنطن بوست** فيها – "الصحافة هي المسوَّدة الخام الأولى من التاريخ" – وهي لفيليب ل. غراهام (Philip L. Graham) الذي عمل مديرًا تنفيذيًّا للصحيفة من عام 1946 إلى عام 1961. فلو أردنا أن نصوغها بشكل أقل إيجازًا، لقلنا إن العمل الإخباري هو المحاولة الأولى لتحديد الأحداث المهمة وتفسيرها: إنه الخطوة التحضيرية لجهد لا نهاية له؛ يرمي إلى فهم الماضي وتفسيره.

إن هذا الكتاب عمل من أعمال الصحافة، إلا أنه لا يتوافق توافقًا كبيرًا مع تعريف فيليب غراهام لها، فهو يشبه المسوّدة المنقحة الثانية أو حتى الثالثة من التاريخ. وذلك لأن كتاب **أوراق أفغانستان** في أكثر أجزائه، يعيد تقييم أحداث وقعت منذ أعوام عدة، وقد بدأت بالفعل تبهت في ذاكرة الزمن. بيد أن المصادر الأولية التي توفر أساس هذا الكتاب تجلب معها تصورًا جديدًا عن ماهية الخطأ الذي حدث وكيف استمر هذا الصراع كل ذلك الوقت. لقد أظهرت وثائق مقابلات الدروس المستفادة، والتأريخيات الشفوية ورقائق الثلج، أول مرة بشكل صارخ حاسم لا يقبل الجدل، أن قادة الولايات المتحدة كانوا يعلمون أن استراتيجيتهم للحرب غير فعّالة، وكانوا متشكِّكين في سرهم بإمكانية إنجاز أهدافهم؛ إلا أنهم، على الرغم من ذلك، ظلوا يخبرون الرأي العام بثقة عامًا بعد عام أنهم يحرزون تقدمًا، وأن النصر يلوح في الأفق.

لم تأتِ هذه المعرفة إلى النور إلا لأن قيادة صحيفة **واشنطن بوست**، بيتي المهني منذ 23 عامًا، التزمت مؤسسيًّا بكشف الحقيقة عن أطول حرب في التاريخ الأميركي. فعندما كرر مكتب المفتش العام الخاص لإعادة إعمار أفغانستان (سيغار) رفضه

التعاون معي والموافقة على طلبي الاطلاعَ على السجلات العامة، واجهت صحيفة **واشنطن بوست** قرارًا: فإما أن تنسحب، وتنتقل إلى قصة صحافية أسهل، وإما أن تُقاضي الوكالة الفدرالية بمقتضى قانون حرية المعلومات (FOIA).

وجرُّ الحكومة الفدرالية إلى المحكمة ليس بالأمر الذي يُقدم عليه ضعاف القلوب. فالدعاوى القضائية تحت قانون حرية المعلومات عادة ما تكون باهظة التكاليف وتستغرق وقتًا طويلًا، وهي كلمات لا يريد أي محرر صحافي سماعها، وليس ثمة ضمانة بأن القضية سوف تسير في مصلحتك. لذلك، سوف أظل ممتنًّا أبدًا لقيادة **واشنطن بوست** لإصرارها وعزمها وتفانيها؛ فقد استطاع كل من جيف لين (Jeff Leen) وديفيد فاليس (David Fallis)، وهما محرِّراي في مكتب التحقيقات، إدارة المشروع بخبرة من البداية، ومنحاني الوقت والمساحة كي أقوم بالتنقيب. وحين كنت أحتاج إلى مساعدة قانونية ودعم على مستوى عالٍ، لم يكن رئيس التحرير مارتي بارون (Marty Baron) أو مدير التحرير كاميرون بار (Cameron Barr) أو المدير التنفيذي فريد رايان (Fred Ryan) ليتردد أو يتوانى عن مساعدتي. فقد أدركوا الأهمية المحتمَلة لمقابلات الدروس المستفادة، ومهّدوا الطريق أمام رفع دعويين قضائيتين لا واحدة فقط ضد سيغار لإجبار الحكومة على الالتزام بقانون كشف السجلات الحكومية. فالصحافيون لا يمكنهم التعامل مع مثل تلك القصص الصحافية الصعبة ما لم يتمتعوا بدعم رؤسائهم، وقد كانت هذه المجموعة خير معين لي.

كذلك، فإن فضلًا خاصًّا لقسم الشؤون القانونية الشديد البأس بجريدة **واشنطن بوست**، ولا سيما جيمس ماكلوغلين (James McLaughlin)، وجاي كينيدي (Jay Kennedy)، وثلاثة من مهَرَة الرماة من المحامين في مكتب بالارد سبار (Ballard Spahr) للاستشارات القانونية، وهم تشارلز توبين (Charles Tobin)، وماكسويل ميشكين (Maxwell Mishkin)، وماثيو كيلي (Matthew Kelley) الذين مَثَّلوا **واشنطن بوست** في المحكمة الفدرالية. لقد قضوا ما لا يحصى من الساعات وهم يجهِّزون مسوغات قضيتَي حرية المعلومات وينقحانهما، ويحاجُّون محامِي الحكومة، ويتغاضون عن محاولاتي العرجاء في ممارسة المحاماة. ولولاهم لظل كنز وثائق الدروس المستفادة مُخفى عن أعين الرأي العام.

وما إن بدأ مكتب سيغار الإفراجَ عن الوثائق قسرًا، نقطة بعد نقطة، وبعد تأجيل متكرر، حتى أصبح من الواضح أن المقابلات لم تكن مجرد وثائق مهمة، بل أظهرت أن كبار المسؤولين الأميركيين قد كذبوا على الرأي العام. فقرر محررو **واشنطن بوست** أننا سوف نهدف عاليًا إلى سلسلة من المقالات مع تقديم الوثائق والتسجيلات الصوتية كافة إلى القراء عبر الموقع الإلكتروني كي يتمكنوا من رؤيتها والاستماع إليها بأنفسهم. وجمعت قيادة غرفة الأخبار فريقًا موهوبًا من مطوري البرامج، ومصمِّمي الغرافيك، ومحترفي التعامل مع قواعد البيانات، ومحرري النُّسخ، وكذلك منتجي الصور وأفلام الفيديو والمقاطع الصوتية. ولضمان عدم تسرب أخبار هذا السبق الحصري قبل الأوان، كنا نعمل وفقًا لقاعدة عدم معرفة كل فرد أكثر مما يتطلبه عمله، ووضعنا اسمًا رمزيًّا للمشروع هو "أفوكادو".

أقدم شكري الجزيل إلى الأعضاء المؤسسين لفريق أفوكادو وهم: جولي فيتكوفيسكايا (Julie Vitkovskaya)، وليسلي شابيرو (Leslie Shapiro)، وأرماند إمامدجومه (Armand Emamdjomeh)، ودانييل ريندلر (Danielle Rindler)، وجاك كرامب (Jake Crump)، ومات كالاهان (Matt Callahan)، ونيك كيركباتريك (Nick Kirkpatrick)، وجويس لي (Joyce Lee)، وتيد مولدون (Ted Muldoon)، وجاي جاي إفانز (JJ Evans)، وأنابيث كارلسون (Annabeth Carlson). فقد كانت مواهبهم لا تُبارى، وأثبتوا أنهم جديرون بالعمل في مثل هذا المشروع البالغ السرية. وكذلك قدّم رئيسا مكتب كابول السابقان جاشوا بارتلو (Joshua Partlow) وغريف ويتي (Griff Witte)، وهما مراسلان في غاية الذكاء والاطلاع، مراجعة مهمة لمسوَّدات القصة عبر قناة خلفية منفصلة.

ومع اقتراب موعد تسليم المشروع، توسّع الفريق، حتى قال مدير التحرير إيميليو غارسيا رويز (Emilio Garcia-Ruiz)، وهو داعم قوي آخر للمشروع، مازحًا إن نصف غرفة الأخبار أصبح منشغلًا بالعمل على أفوكادو. وقُدِّمت مساهمات مهمة من مارتين باورز (Martine Powers)، ومادهوليكا سيكا (Madhulika Sikka)، ومايكل جونسون (Michael Johnson)، وتوم ليغرو (Tom LeGro)، وبرايان كليفلاند (Brian Cleveland)، ولاريس كاركليس (Laris Karklis)، وجين أبيلسون (Jenn Abelson)، وماريل كورنفيلد (Meryl Kornfield)، وأليكس هورتون (Alex Horton)، وسوزانا جورج (Susannah George)،

وشريف حسن، وسيد صلاح الدين، وجينيفر أمور (Jennifer Amur)، وإيفا رودريغيز (Eva Rodriguez)، وداغ جيل (Doug Jehl) وجولي تيت (Julie Tate)، وتيم كوران (Tim Curran)، وكريغ مانيفولد (Greg Manifold)، وماري آن غولون (MaryAnne Golon)، وروبرت ميلر (Robert Miller)، وتيم ميكو (Tim Meko) وتشيكي إستيبان (Chiqui Esteban)، وجايسون بارنيت (Jason Bernert)، وكورتني كان (Courtney Kan)، وبرايان غروس (Brian Gross)، وجوان لي (Joanne Lee)، ووليام نيف (William Neff)، وماريا سانشيز دياز (María Sánchez Díez)، وكانياكريت فونغكياتكاجورن (Kanyakrit Vongkiatkajorn)، وريك سانشيز (Ric Sanchez)، وجينيفر حسن (Jennifer Hassan)، وترافيس ليليز (Travis Lyles)، وتي جاي أورتينزي (T. J. Ortenzi)، وتيسا ماغريدج (Tessa Muggeridge)، وروبرت ديفيس (Robert Davis)، وكنيشيا مالكولم (Kenisha Malcolm)، وإميلي تساو (Emily Tsao)، ومولي غانون (Molly Gannon)، وآجا هيل (Aja Hill)، ودايانا هوويل (Diyana Howell)، وكولين أولير (Coleen O'Lear)، وستيفن بونير (Steven Bohner)، وآمي كافانيل (Amy Cavanaile)، ميا توريس (Mia Torres)، وجون تايلور (John Taylor)، وكريس باربر (Chris Barber)، وإريك رينا (Eric Reyna)، وشاريتي براون (Charity Brown)، وكريغ باربر (Greg Barber)، ودانييل نيومان (Danielle Newman)، وإريس لونغ (Iris Long)، ومايك هاميلتون (Mike Hamilton).

بعد أن نُشِرت السلسلة، جاءتنا رسائل من مئات القراء يحثوننا على توسيع مقالاتنا لتصبح كتابًا. فشجعني مارتي براون لإنجاز الأمر بوصفه مشروعًا من مشاريع الجريدة. ثم قدّمت لي وكيلتي الأدبية كريستي فليتشر (Christy Fletcher)، من شركة فليتشر وشركاه للنشر إرشادها الحكيم المعتاد، وأدت دورًا محوريًّا في جعل الفكرة حقيقة. وأُقدِّم شكري كذلك لتود شاستر (Todd Shuster) وشركة أفيتاس كرياتيف مانيجمينت (Aevitas Creative Management) ولفريق مديري تحرير **واشنطن بوست** تريسي غرانت (Tracy Grant) وكات داونز مادلر (Kat Downs Mudler) وكريسا تومبسون (Krissah Thompson).

كذلك أنا ممتن امتنانًا خاصًّا لفريق دار "سايمون أند شاستر" لتقديرهم الأهمية السردية الكامنة لهذه الوثائق التاريخية ولتخصيصهم هذا الكم من الطاقة والموارد لهذا الكتاب. وأخص بالشكر بيرسيلا بينتون (Priscilla Painton)، نائب رئيس

دار برنامج نشر الكتب غير الروائية بدار "سايمون أند شاستر" ومديرة تحريره. فقد رفعت إشاراتُها الحكيمة وتعليقاتُها الملهمة وتحريراتها البالغة الدقة قيمةَ كل فصل، وإني لمتلهف إلى العمل المقبل الذي سيجمعنا مرة أخرى. أشكر كذلك هانا بارك (Hana Park) التي لم يكن ليُستغنى عنها في رعاية المشروع، وكايت لابين (Kate Lapin) لعملها الاحترافي في تحرير الطباعة، وجون بيلوسي (John Pelosi) لمراجعته القانونية المتأنية. وكان من دواعي سروري أيضًا العمل مع فريق الأحلام للتسويق والدعاية وهم: كريستين برينت (Kirstin Berndt) وإليز رينغو (Elise Ringo) من دار "سايمون أند شاستر"، وكاتلين فلويد (Kathleen Floyd) من **واشنطن بوست**.

ولم يكن لي أن أُنجز هذا الكتاب لولا اطلاعي على العديد من درر الوثائق المكنونة الأخرى. فأرشيف الأمن القومي بجامعة جورج واشنطن يقدِّم خدمة اجتماعية لا بديل منها بإتاحته بعض سجلات الوكالات الفدرالية التي تفضِّل العمل في الظلام. فأقدِّم شكرًا عظيمًا لتوماس بلانتون (Thomas Blanton) مدير الأرشيف، ونيت جونز (Nate Jones) أحد أساطين قانون حرية المعلومات لمقاضاتهما وزارة الدفاع تحت بنوده للحصول على رقائق ثلج دونالد رامسفيلد، ولسماحهم لي بالتدقيق في هذا الجبل الهائل من 50 ألف صفحة. وقد شاركني الأرشيف كذلك قدرًا لا بأس به من البرقيات الدبلوماسية القيّمة المرفوع عنها حجاب السرية.

أما معهد دراسات القتال للجيش الأميركي، في قاعدة فورت ليفنوورث في ولاية كانساس، فقد كان لديه بُعد نظر ليعكف لأكثر من عقد من الزمان على إجراء مقابلات للتاريخ الشفوي مع المحاربين القدامى الذين شهدوا حرب أفغانستان، وجعل ذلك جزءًا من مشروع خبرات القيادة العملياتية. وإني لمدين بشدة لمنظمي البرنامج لعملهم المنهجي المنظَّم. وأشكر دون رايت (Don Wright)، نائب مدير دار الجيش للنشر الجامعي (Army University Press) لإجابته عن أسئلتي بحلم. وأشكر كذلك أندرو با تران (Andrew Ba Tran) من **واشنطن بوست** لجمعه آلاف النسخ النصية وجعلها سهلة المنال حتى أتمكن من البحث فيها.

وأوسِّع تحياتي لمركز ميلر بجامعة فيرجينيا الذي قام بمحض المصادفة بإتاحة عشرات النصوص من مشروعه للتاريخ الشفوي عن عهد جورج بوش الابن للرأي العام حين بدأت تأليف هذا الكتاب بالضبط. أشكر راسيل رايلي (Russell Riley)

نائب رئيس "برنامج مركز ميلر للتاريخ الرئاسي الشفوي"، لتعامله بغبطة وترحاب مع تساؤلاتي الكثيرة وتخطّيه ما يفرضه الواجب إلى مراجعة التسجيلات الصوتية الأصلية لمقابلة الجنرال بيتر بيس ثلاث مرات للتأكد من صحة الاقتباسات المستخلَصة منه.

أما كانداس روندو (Candace Rondeaux) الصحافية والمحلِّلة التي نقلت أخبار الحرب في أفغانستان لسنوات، فلها تحية خاصة. وأقدّم شكري كذلك لـ"جمعية الدراسات والتدريب الدبلوماسي" وبرنامجها لـ"التاريخ الشفوي للشؤون الخارجية" الذي لا يُقدَّر بثمن. فقد قابل تشارلز ستيوارت كينيدي، مدير البرنامج منذ تأسيسه عام 1985، شخصيًّا أكثر من ألف دبلوماسي أميركي متقاعد، وهي المقابلات التي ظلت قراءة نصوصها مفيدة دومًا.

وأدى العديد من زملائي في **واشنطن بوست** أدوارًا أساسية في إخراج هذا الكتاب إلى الحياة، ولا يمكنني أن أوفيَهم ما يستحقونه من شكر على عملهم الحثيث وخبراتهم الواسعة. لقد راجع نيك كيركباتريك عشرات آلاف الصور من الحرب في أفغانستان، وانتخب مجموعة مختارة منها. أما الخريطة الجميلة في داخل الغلاف فهي من صنع الخرائطي الماهر لاريس كاركليس. وقامت جولي تيت بمراجعة الحقائق المذكورة في الكتاب بمثابرة وأناة، وساعدتني على تجميع المصادر المستشهَد بها. ولعل من نافلة القول أن أوضح أن أي أخطاء أو محذوفات تقع مسؤوليتها عليّ وحدي.

وكان من عظيم سروري أن أتعاون مع ديفيد فاليس، المحرر الأول لهذا الكتاب، وزميلي وصديقي القديم في **واشنطن بوست**. فقد تقابلنا معًا منذ أكثر من 20 سنة في أحد المشروعات الاستقصائية، وأعرف أن حماسته والتزامه وعزيمته على إنجاز العمل على الوجه الأكمل لا تبارى. فهو صحافي عتيد ينتمي إلى ذلك النوع النادر من الذين لا يكافئ تقصِّيَهم الصحافي إلا قدراتهم التحريرية التي تبدو من أعلى المستويات.

وأخيرًا وليس آخرًا، أقدّم امتناني من كل قلبي لزوجتي جينيفر توث (Jennifer Toth) ولولدي كايل ويتلوك (Kyle Whitlock). إن جيني مؤلفة وكاتبة أكثر موهبة مني بكثير، ولا يمكنني التعبير عن مدى اعتمادي واستفادتي من نصائحها وحبها،

ومن دعمها الذي لا يلين. ونحن كغيرنا من الأميركيين، غيّرت هجمات 11 أيلول/ سبتمبر في مسار حياتنا بطرق لم يمكننا التنبؤ بها. فما إن احتفلنا بعيد ميلاد كايل الأول بفترة وجيزة عام 2001 حتى أرسلتني **واشنطن بوست** إلى باكستان للمساعدة في نقل أنباء الحرب، فكانت بداية رحلة حملت أسرتَنا إلى أرجاء العالم كافة. لقد كانت 20 سنة السابقة نوعًا من المغامرة، ولكني لم أكن لأخوض شيئًا منها، ولم يكن شيء منها ليكتسب أي قيمة لولاهما.

كريغ ويتلوك
سيلفر سبرينغ، ميريلاند
1 آذار/ مارس 2021

مقدمة المترجم

كشف مؤشر مُدرَكات الفساد لعام 2021، الذي تصدره منظمة الشفافية الدولية، أن الولايات المتحدة جاءت في المرتبة السابعة والعشرين من بين 180 دولة أخضعتها المنظمة للدراسة مسجِّلة درجة مقدارها 67 من أصل 100 درجة[1]. وعلى الرغم من أنها مرتبة لا بأس بها بين دول العالم الأخرى، إلا أن هذا قد يبدو صادمًا لبعض من يظنون أن الحكومات الديمقراطية، ولا سيما زعيمة العالم الحر، لا بد من أن تحتل مرتبة أعلى في هذا المؤشر الذي يكشف درجة شفافية الحكومة وخلوّها من الفساد. أما من خبروا السياسة الأميركية وكان لهم في دراستها باع طويل، فربما شعروا أن وضع الولايات المتحدة في هذه المرتبة ليس إلا محض مجاملة. فلطالما اشتهرت الحكومة الأميركية بالكذب والتلفيق والخداع والتستر على فضائح مسؤوليها وإخفاقاتهم، وإخفاء الكثير من الأعمال المشينة لمؤسساتها الأمنية والاستخبارية؛ لكن مثل تلك الممارسات عادة ما تُبرَّر بضرورات حفظ الأمن القومي والعمل على تحقيق المصالح الأميركية في العالم. وقد يوحي هذا بشيء من الكفاءة والفاعلية في أداء المهمات، إذا ما نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر المواطن الأميركي.

إن كفاءة المؤسسات الأميركية في أداء مهماتها، لا سيما تلك المتعلقة بحفظ الأمن والسِّلم وصناعة السياسة الخارجية، ظلت محل شك منذ تأسيس الولايات المتحدة الأميركية عام 1776. ولكن، بعد أن انخرطت الولايات المتحدة بشدة في الشؤون الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، تواترت إخفاقات مؤسساتها

(1) "Corruption Perceptions Index 2021," *Transparency International*, 30/08/2022 at: https://tinyurl.com/3mvynj5d

الدبلوماسية والعسكرية والاستخبارية. ومن رَحِم هذه الإخفاقات وما أحاط بها من أكاذيب ومخادعات خرجت قصص ملأت كتبًا ومجلدات. فمن قصة هزيمة الجيش الأميركي في فيتنام، خرجت سلسلة المقالات التي عُرفت بأوراق البنتاغون. ومن الإخفاق المستمر لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA) خرج كتاب **إرث من الرماد** للصحافي تيم واينر[2]. ومن قصة إخفاق الحكومات الأميركية المتعاقبة في أفغانستان وكذبها وخداعها لشعبها بشأن هذا الإخفاق، ثم الإخفاق الأكبر الذي بُنِي على هذا الكذب، خرج هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

كان الصحافيون دائمًا رأس الحربة في هذه الجهود الرامية إلى كشف كذب الحكومات الأميركية وتلفيقها، وقد أرادت التغطية على إخفاقاتها وتجنب تحمُّل مسؤولياتها أمام الرأي العام، فسعت جاهدة لإخفاء الحقائق وخداع الناس والكذب عليهم وتحريف الإحصاءات والتستر على الإخفاقات. كذلك كان الحال في هذا الكتاب. فقد استطاع فريق من صحافيي **واشنطن بوست** يقودهم الصحافي العتيد كريغ ويتلوك، صاحب الخبرة في العمل في أروقة البنتاغون وجبال أفغانستان، الحصول على وثائق تتعلق بمقابلات شفوية أجرتها بعض الوكالات الحكومية ومراكز الأبحاث المستقلة مع عدد كبير من المسؤولين الأميركيين والأوروبيين والأفغان، إضافة إلى مذكرات ووثائق سرية أخرى خاصة بالوكالات الحكومية الأميركية، ولا سيما المذكرات التي كان يكتبها وزير الدفاع دونالد رامسفيلد إلى مساعديه، والتي كشفت عن مدى كذبه وخداعه للشعب الأميركي.

يكشف ويتلوك في هذا الكتاب عن حقائق وخبايا وحوادث صادمة، لم يكن أحد في العالم قد اطلع عليها قط، اللهم إلا من شاركوا فيها. فقد أظهر من خلال الوثائق السرية التي حارب هو وزملاؤه للحصول عليها، مدى إخفاق كل من بوش وأوباما وترامب، في إنهاء حرب أفغانستان نهاية مُرضية، وتطمينهم للشعب الأميركي بأن كل شيء يسير على ما يرام، رغم علمهم بأنها حرب لا يمكن الفوز بها. وكشف ويتلوك أيضًا عما شاب إدارة كل رئيس منهم من الكذب والتزييف وتضليل الشعب، حتى كان المسؤولون والجنرالات يتداولون الحقائق في ما بينهم، ثم يخرجون إلى العامة بكلام يناقض ما عرفوه وناقشوه في الأروقة الخاصة، في اليوم نفسه أحيانًا.

(2) Tim Weiner, *Legacy of Ashes: The History of the CIA* (Anchor, 2008).

وقد أبانت هذه الوثائق كذلك مدى هشاشة المؤسسات الحكومية الأميركية وضعف كفاءتها، وغياب أي نوع من التخطيط المُسبَق أو وضع استراتيجيات بعيدة المدى لنشاطاتها، وانعدام التنسيق في ما بينها، وخاصة المؤسسات الدبلوماسية والعسكرية والاستخبارية، إلى درجة قيام كل منها بمشروعات يعارض بعضُها بعضًا ويُضعِف أحدها الآخر. وأخيرًا، يُظهر الكتاب ما وصلت إليه الحكومة الأفغانية المدعومة أميركيًّا، من فساد وأعمال مشبوهة جاوزت الحدود كلها. وكيف دعمت الولايات المتحدة مجموعة من أبغض أمراء الحرب الأفغان وأحقرهم ممن ذاعت قبائحهم وجرائمهم، لا لشيء إلا لأنهم ساعدوها في الحرب على طالبان والسيطرة على بعض مناطق البلاد، ثم إنها لم تتحالف معهم وتدعمهم فحسب، بل تسامحت مع جرائمهم، وبسطت عليهم حمايتها، وحمتهم من المساءلة القانونية في كثير من الأحيان، حتى تفشّى الفساد والظلم وتجارة المخدرات، وانقلب السحر على الساحر.

ومن ذلك كَشْفُ ويتلوك للفوضى التي أُدير بها الغزو الأميركي لأفغانستان، حتى بلغ الإهمال أن خُطِّط للعمليات الحربية في أثناء مجريات الحرب وليس قبلها. ولما تحقق الانتصار بسرعة ومفاجأة، لم يَدْرِ أحد كم المدة التي سيقضيها الجيش هناك، وما أبسط التجهيزات التي لا بد من توافرها لهم، حتى أبسط متطلبات الإعاشة اليومية من نوم واستحمام وقضاء حاجة لم يكن مخطَّطًا له البتة. وأدى غياب أي تصور واضح أو استراتيجيا معتبَرة أو أهداف محدَّدة للحرب إلى غوص الولايات المتحدة في مستنقع أفغانستان عامًا بعد عام وإدارة تلو إدارة ورئيسًا بعد رئيس. وسوف تظل هذه الفوضى هي السمة الأساسية لإدارة العمليات العسكرية والسياسية طوال مدة الحرب.

أما عن التخبط في مكافحة المخدرات، فلم يكن أحد ليتصور هذا الكم من العجز الأميركي البائس. فقد أنفقت الولايات المتحدة وحلفاؤها مليارات الدولارات وجربت جميع السبل، فحاولت بالعصا مرة وبالجزرة مرات، ولم تُفلِح إلا في زيادة إنتاج الأفيون وانتشاره أكثر فأكثر. ولم تستطع، وربما لم تأبه بالتعرف حقيقةً على ثقافة الأفغان وعاداتهم ودوافعهم للقتال. فلم يكن لدى الإدارة الأميركية عند بداية الغزو رجل واحد يتحدث الدارية لغة أغلبية أهل البلاد، فكان الأفغان يتلاعبون بالأميركيين كالصبيان، ويستعملونهم لأغراضهم، حتى أجهزة الاستخبارات، المنوط بها جمع

المعلومات، لم تسلَم من هذه النقيصة. وفوق هذا، لم تسعَ الحكومة الأميركية إلى تلافي هذا العيب الكارثي، بل اكتفى موظفوها وضباطها بطرق لا يستخدمها إلا الحمقى، مثل قراءة كتاب **الإسلام للمبتدئين** أو رواية **عدّاء الطائرة الورقية** وهم على متن الطائرة التي تحملهم إلى أفغانستان.

إن كل ذلك يهون، لدى الأميركيين، أمام الكذب الصارخ والتلاعب بالإحصاءات والأرقام والإخفاء المتعمَّد للحقائق عن الرأي العام، والذي لم يكن معظمه لأغراض تتعلق بحفظ الأمن القومي أو حماية الجنود على جبهات القتال، بل رغبة من المسؤولين في تجنب المسؤولية السياسية أمام الشعب، وخوفًا من محاسبتهم على الأخطاء، ولا سيما قُبيل الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية. وأكبر هذه الأكاذيب والمخادعات، التي تسري في طول الكتاب وعرضه، هو تأكيد الرؤساء والقادة العسكريين والدبلوماسيين وغيرهم من كبار المسؤولين أمام الرأي العام مرارًا وتكرارًا أن القوات الأميركية "تُحرِز تقدمًا" في الحرب، مع يقينهم أن هذا ليس واقع الحال. والكتاب مليء بالأمثلة الدالّة على هذه المخاتلة في عهد كل رئيس من الرؤساء الثلاثة الذين تولَّوا مهمة قيادة البلاد خلال هذه الحرب الطويلة.

أحمد طارق البوهي
31 آب/ أغسطس 2022

وحدها الصحافة الحرة غير المُقيَّدة قادرة على فضح خداع الحكومة. فمن أوجب مسؤوليات الصحافة الحرة منع أي قسم من أقسام الحكومة من خداع جماهير الناس والزج بهم ليموتوا في أراضٍ بعيدة جراء أمراض الأجانب ورصاصهم وقذائفهم.

– هيوغو ل. بلاك (Hugo L. Black) قاضي المحكمة العليا الأميركية، في رأيه المساير (concurring opinion) الذي قدّمه في قضية "مؤسسة **نيويورك تايمز** ضد حكومة الولايات المتحدة" المعروفة كذلك بقضية "أوراق البنتاغون" في 30 حزيران/ يونيو 1971. وفيها قضت المحكمة، بأغلبية ستة أصوات مقابل ثلاثة، بأن الحكومة الأميركية لا يمكنها منع جريدتي **نيويورك تايمز** و**واشنطن بوست** من نشر تاريخ وزارة الدفاع السري عن حرب فيتنام.